مقال لفابريس بالانش، أستاذ محاضر بجامعة ليون 2، نُشر في مجلة □□□□ (*Outre-Terre*) المجلة الأوروبية للجغرافيا السياسية)، العدد 63: "هل تحرّرت طهران؟ – العامل الكردي"، تشرين الثاني/نوفمبر 2026.

في آب/أغسطس 2026، أعلن القائد الكردي مظلوم عبدي حلّ "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد)، وبذلك انتهت "الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا". وقد انضمّ الجنود والمدنيون الأكراد رسمياً إلى الحكومة السورية الجديدة، وأصبح مظلوم عبدي مستشاراً لأحمد الشرع، مسؤولاً عن مرحلة الاندماج. فكيف تخلّى الأكراد، بعد أن سيطروا على أكثر من ثلث مساحة سوريا وهزموا تنظيم "داعش"، عن حكمٍ ذاتي نالوه بثمنٍ باهظ؟

بعد هزيمة بشار الأسد، صار الأكراد أقلّ نفعاً للقوى الغربية، بل صاروا عبئاً عليها. فقد كانوا يريدون الاحتفاظ بالأراضي التي سيطروا عليها وبحكمهم الذاتي. أما بالنسبة إلى الولايات المتحدة والدول الأوروبية، فقد أصبحت الأولوية هي إعادة توحيد سوريا حول الشرع، بوصفها الحلّ الوحيد لضمان استقرارها. وعليه، فقد أمرت واشنطن القادة الأكراد بالتفاوض على اتفاق مع دمشق. وفي 10 آذار/مارس 2025، رضخ مظلوم عبدي، قائد "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد)، لحججهم، وتوجه إلى دمشق على متن مروحية أميركية لتوقيع اتفاق مع أحمد الشرع. وكان هذا الأخير قد تسبّب للتوّ في مجزرة بحق بضعة آلاف من العلويين في المنطقة الساحلية، وكان يسعى إلى أن يثبت للغربيين أنه قادر على توحيد سوريا بالتفاوض. وقبل أسبوع من مؤتمر المانحين السنوي في بروكسل، جاء هذا الاتفاق في وقته. فقد أحدثت صور المذابح في بانياس وجبلة فتوراً حول شخصيته، إذ ذكّرت بأنه ربما لم يتخلَّ عن التطرف إلى ذلك الحدّ.

لعبة خداع متبادل

نصّت تسوية 10 آذار/مارس 2025 على دمج (قسد) في الجيش السوري الجديد، ودمج مختلف أجهزة الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا في أجهزة الدولة السورية. وكان على سلسلة من اللجان "الفنية" أن تحقق هذه الأهداف حتى 31 كانون الأول/ديسمبر 2025، وهو الموعد الذي كان يُفترض أن يتمّ فيه الاندماج. غير أن جميع المباحثات فشلت، لأن كل طرف تمسّك بمواقفه. فمن جانب "الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا"، كان المطلوب ببساطة رفع العلم السوري على المباني الرسمية، واستعمال استمارات تحمل الاسمين. ولم يكن وارداً دمج عناصر (قسد) في الجيش السوري بصفتهم الفردية، بل إنشاء وحدات ذاتية الإدارة ترتبط رسمياً بوزارة الدفاع السورية، على غرار أفواج البيشمركة التابعة لحكومة إقليم كردستان في العراق. لم يكن مظلوم عبدي يثق بأحمد الشرع. وقد قبل بهذا الاتفاق أملاً في الحفاظ على الدعم الأميركي، وفي تهدئة العرب الذين يعيشون في "الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا"، والذين كانوا يمثلون ثلثي السكان. فقد هدّدوا بالانتفاض إن لم تعد المنطقة إلى سيادة دمشق. فوادي الفرات كلّه، من صرّين إلى الحدود العراقية، عربي. أما محافظة الحسكة فمختلطة؛ فغالبية مركز المحافظة عربية، بينما تتداخل القرى الكردية والعربية حول القامشلي، المدينة التي تُعدّ العاصمة غير الرسمية لكردستان سوريا.

كان القادة الأكراد يأملون أن ينهار نظام أحمد الشرع تحت الضغط الداخلي لحركة احتجاجية. وكان الهدف كسب الوقت. أما من جهة دمشق، فلم يكن وارداً أن يُمنح الأكراد أدنى حرية. فقد كان الإعلان الدستوري الصادر في 13 آذار/مارس 2025 لا لبس فيه، إذ أكّد مركزية البلاد ونفى أي حكم ذاتي عن أي كان في سوريا، وهو ما كان في تناقض تام مع اتفاق 10 آذار/مارس. وعلى امتداد عام 2025، عُقدت سلسلة من اجتماعات لجان مختلفة، لكن دون نجاح يُذكر. وقد أظهرت مجزرة الدروز في تموز/يوليو 2025 بوضوح فاضح الاستراتيجية التي كان أحمد الشرع ينوي

Ce document a été téléchargé sur le site https://www.fabricebalanche.com

اعتمادها تجاه الأكراد. لكن كان عليه أن يتحلّى بالصبر، لأن الأكراد كانوا لا يزالون يتمتعون برصيد من التعاطف لدى الغرب بسبب انخراطهم في قتال "داعش"، في حين ظلّت الشكوك قائمة حول "نزع التطرف" المزعوم عنه. وكانت أولويته رفع العقوبات عن سوريا، بفضل حملة استمالة على الصعيد الدولي، بلغت ذروتها بخطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في أيلول/سبتمبر 2026. وكان عليه أيضاً أن يعزّز موقعه العسكري قبل أن يشنّ هجومه على معاقل الأكراد، لأنه، بخلاف الميليشيات الدرزية، سيواجه جيشاً حقيقياً، مؤلفاً من مقاتلين متمرسين في القتال ومزوّدين بعتاد ثقيل.

الأكراد تخونهم الولايات المتحدة

في كانون الأول/ديسمبر 2025، اندلعت اشتباكات مسلّحة بين القوات الكردية وقوات أحمد الشرع في حلب. وحوصر حيّ الشيخ مقصود الكردي حتى أخلته "وحدات حماية الشعب" (YPG) التي كانت تدافع عنه. ولأن إرسال النجدة من الضفة الشرقية للفرات كان مستحيلاً، فقد اضطرّ مظلوم عبدي إلى الاستسلام في 9 كانون الثاني/يناير 2026. وغادر المدينة مئات المقاتلين، ومعهم عشرات الآلاف من المدنيين الأكراد الذين خافوا على أمنهم في حلب. فقد سبق أن وقعت انتهاكات بالفعل خلال معركة الشيخ مقصود. وبعد أن حققت الميليشيات الإسلامية، التي شكّلت الجيش السوري المُنشأ حديثاً، نصراً ونالت دعم الولايات المتحدة، شنّت هجوماً على أراضي "الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا". ففي البداية، في 17 كانون الثاني/يناير 2026، طالب أحمد الشرع بأن تنسحب (قسد) من الأراضي الواقعة غربي الفرات. لكن، بعد أن [قبلت] (قسد) هذا الشرط بناءً على نصائح أميركية، عبرت قوات أحمد الشرع الفرات في عدة مواضع بين الرقة والحدود العراقية، فاستولت بذلك على الوادي كله، وصعدت حتى أبواب الحسكة وكوباني. وقد سهّل هذا التقدّم عونٌ ضمني من الولايات المتحدة، التي خانت حلفاءها الأكراد. بل إن المبعوث الأميركي الخاص إلى سوريا، توم برّاك، صرّح في هذه المناسبة بأنه لم يعد هنالك من مبرّرٍ لوجود قسد. وقد تيسّر تقدّم رجال أحمد الشرع بدعم السكان العرب المحليين. والحقيقة أن العرب لم يقبلوا قط بالتفوق الكردي في أعقاب هزيمة "داعش". "فقد نشأ لديهم شعور معادٍ للأكراد، متأصّل في عمق نفسيتهم الجماعية، حين فرض "حزب الاتحاد الديمقراطي (PYD)، في الأيديولوجيا، نفسه في أعقاب صعود "وحدات حماية (PKK)" الذي يشترك مع "حزب العمال الكردستاني الشعب"، ذراعه المسلحة، وحاول أن يُرسي في المنطقة مبادئ العلمانية والمساواة بين الجنسين. فاصطدم بتقاليد متشددة في العادات والدين.

في 19 كانون الثاني/يناير 2026، واصلت قوات النظام السوري تقدّمها نحو الحسكة وكوباني. وصار القطاعان الكرديان الآن منفصلين. أما الميليشيات العربية المرتبطة بـ (قسد)، ومنها "الصناديد"، وهي جماعة منبثقة من قبيلة شمّر وحليفة تاريخياً لـ "وحدات حماية الشعب" (YPG)، فقد انشقّت جميعها. فلم يبقَ إذن سوى "وحدات حماية الشعب" للدفاع عمّا تبقّى من "الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا". وهذا الاتحاد الفدرالي العربي الكردي لم يكن سوى خرافة، لأن العرب، في الواقع، لم ينخرطوا قطّ في المشروع السياسي، ولم يحلموا إلا بالثأر. فحين كان بشار الأسد يمارس سلطته في دمشق، وكانت الولايات المتحدة تدعم "الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا"، تحمّلوا الوضع. ومع ذلك، كانت تندلع بانتظام انتفاضات ومحاولات مصالحة مع نظام بشار الأسد، بدافع التضامن العربي. لكنّها أُخمدت بفضل تدخّل التحالف الدولي. ومنذ أن استولى أحمد الشرع على دمشق، ازدادت القبائل العربية تلهّفاً إلى الالتحاق بالجمهورية العربية السورية، التي من شأنها أن تعيد إليها سلطتها على المنطقة، وتعيد النظام الموروث منذ القدم الذي يميّز ضد الأكراد.

المعاقل الكردية على حافة الزوال

Ce document a été téléchargé sur le site https://www.fabricebalanche.com

إلى الأراضي الكردية حول القامشلي وكوباني، بعد أن أبرمت اتفاقاً جديداً (YPG) "انسحبت "وحدات حماية الشعب مع أحمد الشرع. وتحتفظ القوات الكردية بوحدتها داخل الجيش السوري. وهي المسؤولة عن المناطق الكردية، في حين لا تؤمّن قوات الشرع فيها سوى حضور رمزي. وقد عُيّن ضابط كردي نائباً لوزير الدفاع. وبقي موظفو "الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا" الأكراد في مناصبهم، وأُدمِجوا في ملاكات مختلف الوزارات. وهذا أشبه بتفاهم جديد منه بحلّ نهائي للمسألة الكردية. فقد كان الهجوم على المعاقل الكردية سيكلّف غالياً في الأرواح وعلى الصعيد الدبلوماسي. وفضلاً عن ذلك، أدركت الولايات المتحدة أن قوات أحمد الشرع لن تكون قادرة على إبقاء آلاف من مقاتلي "داعش" الذين أُسِروا في الشمال الشرقي رهن الاحتجاز. وتُظهر الصور الأولى لسجون الرقة والشدادي، بعد رحيل "وحدات حماية الشعب"، جنوداً من الجيش السوري الجديد يتآخون مع الأسرى ويطلقون سراحهم على الفور. وقد أثار الوصول إلى مخيم الهول، حيث كانت تُحتجز عائلات الجهاديين، ومنها نحو مئة فرنسية وفرنسي، النشوة نفسها لدى المُحتجَزين. فقد شعر هؤلاء بأن الإفراج عنهم وشيك، دون أن يضطروا إلى الاكتراث بقضاء بلدانهم الأصلية. ولهذا اختارت الولايات المتحدة نقل الجهاديين السبعة آلاف الذين كانوا لا يزالون محتجزين في سجون الحسكة والقامشلي إلى العراق. ومع ذلك، كانت تلك فرصة لإخضاع هؤلاء لمحاكمة في سوريا أمام هيئة قضائية معترف بها، ما دام هؤلاء [أي الغربيون] قد رفضوا ذلك في الماضي على أراضي "الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا". لكنّ الغربيين فضّلوا تجنّب خطر صدور حكم ببراءةٍ عامة، وهو ما يشهد على استمرار شكوكهم تجاه النظام السوري الجديد.

منذ كانون الثاني/يناير 2026، عُيّن محافظ كردي على رأس محافظة الحسكة. لكنّ سلطته لا تتعدّى الأراضي (YPG) "الكردية. وتمتنع قوات دمشق حالياً عن دخولها، وهي لا تزال تحت سيطرة "وحدات حماية الشعب و"الأسايش". وهاتان القوتان تندمجان تدريجياً في الجيش السوري، حيث تشكّلان وحدات منفصلة، كما كان يطالب مظلوم عبدي منذ البداية. وتجري العملية نفسها في الإدارة، إذ إن الموظفين يتقاضون رواتبهم الآن من دمشق. لكنّ الأكراد يرفضون أن يتقاسموا مع دمشق آبار النفط في رميلان، ولا المعبر الحدودي في سيمالكا مع كردستان العراق. وعلى الرغم من التصريحات الرسمية الإيجابية، فإن الارتياب هو السائد تجاه النظام السوري. لكن ليس أمام الأكراد خيار سوى الاندماج في سوريا الجديدة، ما دام الغرب قد زكّى أحمد الشرع. وليست لديهم الوسائل كذلك لمقاومة هجوم عسكري، لأنهم بين سندان سوريا ومطرقة تركيا، وبخاصة أن آخر القوات الأميركية انسحبت من سوريا في نيسان/أبريل 2026. وتحاصر قوات دمشق الأراضي الكردية تدريجياً، وتوزّع الأسلحة على القبائل العربية في المنطقة، وتستعد للهجوم الأخير. ويبدو من غير المرجّح أن تتمكن "وحدات حماية الشعب" من الدفاع عن المجتمعات الكردية على المدى البعيد. ولذلك فإن وضع الأكراد في سوريا مثير للقلق. فأكراد كوباني لن يتمكنوا من تحقيق نصر جديد دون دعم الولايات المتحدة، كما حدث عام 2015 في مواجهة "داعش". أما الجزيرة العليا، حول القامشلي، فستكون مسرحاً لصراع دموي بين العرب والأكراد، لأن السكان من الفريقين متداخلون فيها تداخلاً وثيقاً. وأخيراً، تستطيع تركيا أن توجّه الضربة القاضية، إن نجحت "وحدات حماية الشعب" مع ذلك في إيقاف قوات أحمد الشرع.

أكراد سوريا يتطلّعون إلى أربيل

أدرك مظلوم عبدي جيداً أنه لن يخرج منتصراً من مواجهة عسكرية. فعليه أن يجد سنداً خارجياً يضمن حماية الجيب بزعامة مسعود بارزاني. ففي (PDK) "الكردي. وهذا ما يدفعه إلى التقرّب من "الحزب الديمقراطي الكردستاني تشرين الثاني/نوفمبر 2025، جاء إلى منتدى دهوك للقاء قادة حكومة إقليم كردستان، وخاصة لتسوية المشكلات التي الذراع السياسية لـ "وحدات حماية الشعب"، و"الحزب (PYD)، "كدّرت العلاقات بين "حزب الاتحاد الديمقراطي بل (PKK)، "الديمقراطي الكردستاني". والواقع أن أكراد سوريا لا ينجذبون كثيراً إلى "حزب العمال الكردستاني يتطلّعون إلى نمط من التنمية على غرار حكومة إقليم كردستان. فقبل الحرب الأهلية، كان "الحزب الديمقراطي

Ce document a été téléchargé sur le site https://www.fabricebalanche.com

الكردستاني" هو من يجسّد القومية الكردية في الجزيرة، لا "حزب العمال الكردستاني". لكن مع الحرب، فرض حزب عبد الله أوجلان نفسه، وأقصى الأحزاب السياسية الأخرى. وقد ثبت أن استراتيجيته وصلت إلى طريق مسدود. فقد خسروا عفرين ورأس العين، وضحّوا بأكثر من 10 آلاف شاب كردي لتحرير الرقة من "داعش"، ويجدون أنفسهم الآن وحيدين وقد حُشروا في الزاوية. والحل الوحيد المتبقي أمام مظلوم عبدي لحماية الأكراد من الانتقام، وللأمل في الاحتفاظ بحكم ذاتي نسبي، هو طرد كوادر "حزب العمال الكردستاني". وبذلك يلبّي ما تنتظره تركيا، التي يمكنها بدورها أن تتسامح مع قيام كيان كردي في سوريا، بشرط أن يستلهم أربيل لا قنديل.

ترجمه إلى العربية أسامة حرفوش

Ce document a été téléchargé sur le site https://www.fabricebalanche.com